

يسمونه الجبل الصغير . كنا نعرف انه ليس جبلا ، وكنا نسميه الجبل الصغير .

جاؤوا خمسة رجال يقفزون من سيارة جيب شبه عسكرية . يحملون البنادق الرشاشة في ايديهم ، يطوقون المنزل . يخرج الجيران من منازلهم يتفرجون . احداهم تبسم وترسم بيدها علامة النصر . يتقدمون الى المنزل ويطرقون ابواب . تفتح امي باب البيت بتعجب . يسألها قائدهم عني . خرج من البيت . - اين ذهب - لا ادري .

- تفضلوا اشربوا فنجان قهوة .

يدخلون . يبحثون في البيت عني . لم اكن هناك . يبحثون بين الكتب والاوراق . لم اكن هناك . اكتشفوا كتابا على غلافه الخلفي صورة عبد الناصر . لم اكن هناك تلبوا الاوراق واثاث المنزل . شتموا الفلسطينيين . كسروا سريري وهم يفتشونه . شتموا امي والجيل الفاسد . لم اكن هناك .

وقف قائدهم ، يحمل على كتفه بندقية رشاشة وفي يده مسدسا يتوعد . الافضل ان لا يرجع الى هنا .

لم اكن هناك . امي كانت هناك ، ترتجف بالحزن وانحقد ، وتمشي في البيت بعصبية . توقفت عن الاجابة على اسئلتهم وتركتهم . جلست على كرسي في المدخل تحرس بيتها ، وهم في الداخل يبحثون عن الفلسطينيين وعبد الناصر والشيعية الدولية . جلست على كرسي في المدخل تحرس بيتها ، وهم في الداخل يمزقون الاوراق والذكريات . جلست على كرسي ، وهم يرسمون اشارة الصليب على وجوههم علامة الحقد او الفرح .

خرجوا ، رفعوا ايديهم في الشارع باشارة النصر . وكان بعض الناس ينظرون اليهم ويرسمون شارة النصر .

سميانه الجبل الصغير عندما كنا صغارا نركض في شوارع الترابية او على حافة الاسفلت الذي يجرح اقدامنا . نمشي في شوارعه لنبحث عن اشياننا ونلعب . وفي ايام العطلة اذهب مع ابي واخوتي الى حقوله التي كانت تسمى السيوفي ، حيث نلهو بحرية بين اشجار الزيتون والزنلخت . هناك نقف على تلة عالية مشرفة على ثلاث طرق ، طريق نهر بيروت ، طريق كرم الزيتون ، وطريق ثالث كنا نسميه طريق بيتنا . نقف على التلة العالية الواسعة ، نركض فيها ، ونخاف دائما من السقوط في احد الطرق الثلاث .

وقف فوق التلة العالية . يمسك بيده اليمنى يد والده الكبير . كان ينظر الى السيارات التي تسير بعيدة عنه في الطريق ويتعجب من كونها صغيرة الى هذا الحد انها لا تشبه ابدا السيارة التي يذهب بها عادة الى منزل خاله البعيد . سيارات صغيرة جدا ، تسير خلف بعضها ، كأنها سياراته الصغيرة التي اشتراها له والده وجعلها تسير امامه ، وهو يغني لها . السيارات المعدنية التي تمشي لا صوت لها . تسير في حركة رتيبة خلف بعضها وفي خط مستقيم دون ضجيج او زماير . لا تتوقف . في